الإجراء اللساني في تحليل النص الأدبي
قراءة في إشكالية المنهج

Linguistic procedure in literary text analysis
Reading the problematic approach

أ.مكي مريم
أ.الدكتورة.خيرة حمر العين
جامعة أحمد بن بلة وهران1
Mekkimeriem2@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2019/02/28 تاريخ القبول:2019/06/05 تاريخ النشر: 2019/09/21

الملخص:

تتناول هذه الدراسة المنهجية اللسانية في تحليل النص الأدبي، حيث تنطلق من مفهوم النص كبنية لغوية دلالية اجتماعية، إلى اللسانيات كإجراء تحليلي في معالجة الظاهرة الأدبية، بالوقوف على مجموع التقنيات التي اعتمدتها لسانيات النص لتحليل وتفكيك وتأويل النص الأدبي، على اعتبار أن لسانيات النص تهتم ببنية النص وبكيفية تركيبه، بالاعتماد على مختلف مستوياته حيث تنطلق من بنياته الصغرى إلى بنيته الكبرى؛ ومن جملة ما توصلت له هذه الدراسة أن المنهجية اللسانية مقاربة فعّالة في محاورة النص الأدبي ومعالجته، وأن التحليل اللساني للخطاب الأدبي ينطلق من أصغر وحدة في النص، إلى االنص كبنية لغوية وثقافية، بتفكيك التراكيب اللغوية والعلاقات الدلالية .

الكلمات المفتاحية :لسانيات، نص، بنية، تحليل، منهج.

Summary:

This study deals with linguistic methodology in the analysis of the literary text, starting from the concept of text as a linguistic syntax, social, to linguistics as an analytical measure in the treatment of the literary phenomenon, by standing on the total techniques adopted by the linguistics of the text to analyze and deconstruction and interpretation of the literary text, The text and how to install it, depending on the various levels, starting from the smaller structures to the structure of the major, and among the findings of this study that the linguistic methodology is an effective approach in the dialogue and treatment of literary text.

Keywords :Linguistics, text, structure, analysis, curriculum.

البحث:

إن الإنجاز الذي عرفته المدونة النقدية المعاصرة نابع من اللسانيات، حيث انتقل الاهتمام إلى بنية النص الأدبي واعتباره هو مرجع ذاته، وذلك بفعل التغيير الذي أحدثته اللسانيات على مستوى جميع الميادين، فقد لفتت الانتباه إلى النص كونه بنية لغوية دلالية جمالية، بعيداً عن محيطه الخارجي فغدت مقاربته تنطلق من اللسانيات التي تسعى إلى دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها، الأمر الذي ارتكزت عليه الآليات المعاصرة التي تهتم بالظاهرة الأدبية، وتهدف إلى تفكيك وتحليل العلاقات التركيبية والدلالية للنص الأدبي.

تسعى هذه المقاربة إلى إبراز دور اللسانيات كإجراء في تحليل النصوص الأدبية، وهي تطرح جملة من الإشكالات أهمها: ما ماهية النص الأدبي في الدراسات الحديثة؟ وكيف يُحلَّل النص الأدبي من خلال اللسانيات؟ وما هي الآليات التي تعتمدها اللسانيات لتفكيك النص؟

للإجابة عن هذه الإشكالات وقع بحثنا على الإجراء اللساني في تحليل النص الأدبي، وذلك لإبراز الكيفية التي احتضنت بها اللسانيات النص الأدبي، وقد قُسِّم البحث إلى محورين، يتناول المحور الأول مفهوم النص في الدراسات الحديثة، أما المحور الثاني فقد خُصِّص للسانيات كإجراء في تحليل النص بالوقوف على الآليات اللسانية والقضايا التي تهتم اللسانيات بتفكيكها في النص الأدبي، وقد اعتمدنا في هذا منهج وصفي تحليلي نسعى من خلاله إلى وصف النص الأدبي ومفهومه، ووصف المنهجية اللسانية وتحليل آلياتها.

شكلت اللسانيات الركيزة التي يعوِّل عليها مختلف العلوم وعلى ما تفرزه من تقريرات علمية وطرائق في البحث والاستخلاص فقد غدت جسر أمام بقية العلوم الإنسانية، من تاريخ وأدب وعلم اجتماع...يعبره جميعها، باعتبارها مقود الحركة التأسيسية في المعرفة الإنسانية، لا من حيث تأصيل المناهج وتنظير طرق إخصابها فحسب، ولكن أيضًا من حيث إنها تعكف على دراسة اللسان فتتخذ اللغة مادة لها وموضوعاً.[1]

غدا النص يشكل ظاهرة تستدعي منهج واعي لتحليله، وذلك لتعدد القراءات وتنوعها، فقد سيطرت مناهج تحيط به مغفلة طابعه اللغوي والجمالي كالمنهج التاريخي والنفسي والاجتماعي، أو كما يطلق عليها في النقد الحديث المناهج السياقية التي ابتعدت عن النص كبناء كلي واهتمت بما هو خارجي، فدعت الضرورة إلى ظهور مناهج نسقية تهتم بالنص، خاصة بظهور اللسانيات التي غيرت نمط التفكير التقليدي، وشكلت المحور التأسيسي لمختلف المعارف والعلوم.

المحور الأول : مفهوم النص:

1- في الدراسات الغربية الحديثة:

تحدد جوليا كريستيفا النص"كجهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الربط بين كلام تواصلي يهدف إلى الإخبار المباشر، وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه أو المتزامنة معه "[2]، وتضيف الباحثة على هذا التحديد أن النص عبارة عن "إنتاجية" مما يعني أن علاقة النص باللسان الذي يتموقع داخله هي علاقة إعادة توزيع(هادمة بناءة) لذلك يمكن تناوله عبر المقولات المنطقية لا المقولات اللسانية الخالصة، كما أنه ترحال للنصوص وتداخل نصي ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى[3].

فالنص عند كريستيفا هو ظاهرة لسانية تجمع بين الكلام التواصلي وبين مختلف الملفوظات، والتي تتجسد من خلال الهدم والبناء، ويُعالج من خلال المقولات المنطقية لا اللسانية فقط، كما يجتمع في النص الواحد عدة نصوص حيث تتداخل وتتقاطع جملة من الملفوظات، وبهذا المفهوم تطرح كريستيفا إشكالية التناص ليصبح النص عملية إنتاجية يساهم في تشكيل وتركيب نصوص وملفوظات.

ينطلق بارت من النص نفسه ليعرفه بقوله:" تعني كلمة نص(Texte) النسيج(Tissu) ولكن بينما صنّف هذا النسيج دائماً، وإلى الآن بوصفه إنتاجاً، وحجاباً جاهزاً، يقف المعنى(الحقيقة) خلفه إلى حد ما، فإننا سنركز الآن، داخل هذا النسيج، على الفكرة التوليدية التي يتخذها النص لنفسه وينشغل بها من خلال تشبيك دائم؛ وإن الذات إذ تكون ضائعة في هذا النسيج-هذا النسيج- تنحل فيه، كما لو أنها عنكبوت تذوب هي نفسها في الافرازات البانية لنسيجها"[4]، يقوم هذا التعريف على التركيب الداخلي للنص، حيث ينبني على روابط لغوية باعتبار النص منجز لغوي.

وقد جاء في معجم ديكروOswald Ducrot وتودوروفTzvetan Todorov أن" مفهوم النص لا يتموضع مع مفهوم الجملة في مستوى واحد، وبهذا المعنى، يجب تمييز النص عن الفقرة التي تمثل الوحدة المكوَّنة من عدة جمل يمكن أن يكون النص جملة، كما يمكن أن يكون كتاباً بأكمله، إن أهم ما يحدد النص استقلاليته وانغلاقه بالرغم من أن كثيراً من النصوص ليست مغلقة، وهو يشكل نظاماً لا ينبغي أن يطابق النظام اللساني، ولكن أن يوضع في علاقة معه، هي علاقة التجاور والتشابه"[5]، فالنص من خلال هذا المفهوم يتميز بكونه بنية منغلقة، وهو وحدة أكبر من الجملة، وهو مستقل بذاته عن غيره، فالنص"يخلق بنفسه قوانينه الداخلية، وهذا ما يجعله كيانا مستقلا يمكن دراسته والتعامل معه دون الحاجة للرجوع إلى أي اعتبارات أخرى يمكن أن تكون سبباً في تمييع دراسته وإخراجها عن طابعها الأدبي المحض"[6]

يستخلص زتسيسلاف واورزنياك تعريف شامل بعد عرضه لجملة من المفاهيم الغربية يتمثل في قوله:"نفهم تحت النص مكوناً لغوياً أفقياً نهائياً، مقصوداً به التطابق لواقعة التواصل المختصة، يصير من خلال الدمج الإنجازي وأوجه التناظر الدلالية-الموضوعية والترابطات النحوية تتابعاً متماسكاً من الجمل"[7]،

فالنص من هذا المنظور هو إنجاز لغوي تواصلي يشكل بعد آليات الدمج وتحقق العلاقات التركيبية والدلالية تتابعا أفقيا من الجمل.

2- النص في الدراسات العربية الحديثة:

ينطلق التصور العربي للنص من التصور الغربي، وذلك لأن المفاهيم العربية في تحديد النص تنبني على المفاهيم الغربية، فهذا صلاح فضل بعد عرضه لجملة من الأراء الغربية يخلص إلى مفهوم للنص يرتكز على تصورين، كما يظهر في قوله:" ونخلص من ذلك إلى أن النص له تصوران كبيران: أحدهما استاتيكي ثابت، والآخر ديناميكي متحرك هو الذي يولع به التفكيكيون ويرتكز على مفهوم التناص"[8].

يتجلى التصور الثابت للنص من خلال قول صلاح فضل:"فمن الوجهة السكونية نجدنا حيال نص يمكن أن نقاربه نقديا من منظور أفقي أو رأسي، حيث يسيطر علينا تصور النص باعتباره جملة من الأبنية المركبة ذات الامتدادات المتعددة، الناجمة عن عملية انتاج خاصة تخضع للتحليل بفك شفراتها المستقيمة في خط طولي، طبقا لدرجة قابليتها للفهم، مما قد يثير لدينا رغبة ممارسة التحليل البنيوي عليه، لالتقاط العناصر الفاعلة في نظام علاقاته التركيبية وذلك لتعويض التصلب والسكونية الكامنين في هذا التصور للنص"[9]، فهذا التصور على حد رأي صلاح فضل جامد، ينطلق من النص باعتباره بنية مغلقة، ويسعى لفك شفراته من خلال قراءة علاقاته التركيبة.

أما التصور الديناميكي يكمن في تمثل النص من خلال مستوياته المتعددة كما يظهر في قول صلاح فضل:" ومن المنظور الرأسي نجد أنفسنا حيال نص أدبي متعدد المستويات...مثل مستويات الأصوات اللغوية والوحدات الدلالية والموضوعات أو التجارب المقدمة من خلالها، والمظاهر الهيكلية لها، مما يتكون منه في نهاية الأمر تنظيم عضوي بالرغم من الفرق المميزة لهذه المستويات، وبهذه الطريقة فإن النص الأدبي يمكن قراءته عبر مجموعة من التحليلات الأسلوبية التي ترتكز على تكويناته الصوتية ووحداته الدلالية، أو بقراءة بنيوية أيضا تعنى بإبراز العلاقات الماثلة بين تلك المستويات المختلفة"[10]، ينفتح هذا التصور على جميع مستويات النص، بما في ذلك البنية التركيبية والبنية الدلالية، وحتى النصوص التي تتداخل وبنية النص والتي تحقق الوظيفة التناصية، التي من شأن القراءة الكشف عنها، وذلك أن التصور الثاني "يفرض مجموعة من إجراءات التحليل الكفيلة بالكشف عن العمليات الديناميكية الداخلة في تكوين النصوص، والفاعلة في قبليات فهمها وتفسيرها عن طريق ما يسمى بالتناص"[11]، بالتالي يمكننا القول أن رؤية صلاح فصل للنص نابعة من الاشتغال الإجرائي، بتصور آليات يمكن تطبيقها على نصوص بعينها، كما نستطيع اسقاط هذا التصور على محوري الاستبدالي والتركيبي(الدايكروني والسانكروني) حيث نتمثل التصور الأفقي

الذي طرحه صلاح فضل في المحو السانكروني، والتصور الثاني على المحور الدايكروني، وذلك أن الأول ثابث والثاني متغير ومتحرك.

يعرف محمد مفتاح النص بأنه"مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة" [12]، فهذا التحديد يرتكز على جملة من النقاط، يفصلها محمد مفتاح كالآتي:

- مدونة كلامية يعني أنه مؤلف من الكلام وليس صورة فوتوغرافية أو رسما...
- حدث: إن كل نص هو حدث يقع في زمان ومكان معينين، مثله في ذلك مثل الحدث التاريخي.
- تواصلي: يهدف إلى توصيل معلومات ومعارف ونقل تجارب...إلى المتلقي
- تفاعلي: على أن الوظيفة التواصلية-في اللغة- ليست هي كل شيء، فهناك وظائف أخرى للنص اللغوي، أهمها الوظيفة التفاعلية التي تقيم علاقات اجتماعية بين أفراد المجتمع وتحافظ عليها.
- مغلق: حيث يقصد انغلاق سمته الكتابية الأيقونية التي لها، ولكنه من الناحية المعنوية هو:

- توالدي لأن الحدث اللغوي ليس منبثقا من عدم، وإنما هو متولد من أحداث تاريخية ونفسانية ولغوية...وتتناسل منه أحداث لغوية أخرى لاحقة له[13].

يركب محمد مفتاح بين هذه الاتجاهات المختلفة لصياغة تعريف شامل، ينبني على ماهو لغوي واجتماعي، تواصلي وتفاعلي، تركيبي دلالي، منفتح من الناحية المعنوية يحتمل عدة قراءات، ومنغلق من الناحية الكتابية أي له بداية ونهاية.

نلمس هذا التحديد كذلك عند عبد الله الغذامي الذي يعتبر النص"بنية شمولية لبنى داخلية: من الحرف إلى الكلمة إلى الجملة إلى السياق إلى النص، ثم إلى النصوص الأخر..."[14] ، فالنص مفتوح على جملة من البنى بما في ذلك النصوص الأخرى ليتشكل بذلك التناص وبالتالي هو على حد قول الغذامي: "بنية لغوية مفتوحة البداية ومعلّقة النهاية، لأن حدوثه نفسي لا شعوري وليس حركة عقلانية"[15]، فهو نابع عن الذات، ليكون بنية لغوية تتصف بالحركة والحيوية.

يستلهم سعيد يقطين عدة أراء غربية، ليحدد النص بأنه:"بنية دلالية تنتجها ذات(فردية أو جماعية)، ضمن بنية نصية منتجة، وفي إطار بنيات ثقافية واجتماعية محددة"[16]، ويشرع يقطين في شرح هذا التعريف كالآتي:

1- **العنصر البنيوي**: يتضمن هذا التعريف ثلاث بنيات تتواتر فيه، هي البنية الدلالية، والبنية النصية، والبنية الثقافية والاجتماعية.

2- **العنصر الإنتاجي:** إن العلاقات بين هذه البنيات علاقات فعل وتفاعل وصراع، أي علاقات إنتاجية، فهذه البنيات ليست معزولة عن بعضها فهي تنتج ذاتها في إطار علاقتها مع الموضوع الذي توجد فيه [17].

من خلال تضافر هذه العناصر، وتفاعل هذه البنيات -على حد تعبير سعيد يقطين- نجدنا أمام انفتاح النص وديناميته وبناءاً على هذه العناصر يكون النص عند سعيد يقطين، بنية دلالية متعددة من خلال عملية الإنتاج كتفاعل مبدع تقوم به الذات(ذات الكاتب وذات القارئ) وهذه الذات تنتج الدلالة النصية انطلاقا من خلفية نصية تشكلت من خلال التفاعل مع نصوص سابقة، وهذه الخلفية النصية تتمثل في النص القابع داخل كل واحد منا، وذلك في إطار اجتماعي وثقافي محددين[18].

يختزل سعيد يقطين العناصر التي قدمها في مكونات ثلات هي كالآتي:

- البناء النصي: النص بنية دلالية تنتجها ذات
- التفاعل النصي: ضمن بنية نصية منتجة
- البنيات السوسيو- نصية: في إطار بنيات ثقافية محددة[19].

على اختلاف المفاهيم إلا أنها لا تخرج عن كون النص بنية لغوية دلالية جمالية، يتشكل من خلال علاقات تركيبية تفاعلية بين عناصره، ومن خلال الانفتاح على بنيات ثقافية واجتماعية، في إطار ما يسمى بالتناص، ليتحقق وجوده بعملية النسج والربط بين هذه العناصر.

المحور الثاني : الآليات اللسانية في تحليل النص الأدبي:

نتساءل في هذا العنصر عن الأدوات اللسانية المستخدمة في مقاربة النص الأدبي، وعن المراحل التي يمر بها النص وفق الآليات اللسانية، لذلك سنركز على منهجية اللسانيات والإجراءات المعتمدة في هذه الأخيرة من أجل الوقوف على أدبية النص من جهة، ومن جهة أخرى التمكن من تفكيك النص وفق إجراء منهجي قائم بذاته، يستهدف كل مكنونات النص.

تقوم لسانيات النص على وصف النص انطلاقاً من مستويين اثنين على حد ما ذهب إليه نعمان بوقرة في قوله:"إذا كانت النصوص المنجزة أبنية نسقية غرضية ذات طبيعة معقدة تشبه في تعقيدها بيت العنكبوت...لعل أهم وصف فيه كونه منسجما متعاضدا؛ فإن لسانيات النص تضطلع بمهمة وصف هذا التواشج وتبيان مقوماته، وقيمته المادية من حيث هو صورة معبرة عن غرض الخطاب في التداول اللساني البشري ولن يتحقق ذلك إلاّ بالتمييز بين مستويين من الدراسة هما المستوى المقطعي والمستوى التداولي "[20]، ويحدد هذين المستويين كالآتي:

- **المستوى المقطعي(Niveau séquentiel):**يحيل الوصف اللساني للبنية المقطعية إلى إمكان التمييز بين البنية المقطعية الكبرى التي تتشكل من ارتباط مجموعة من البنى المقطعية الصغرى ذات الطبيعة التكوينية نفسها هي:المقطع الحواري،والسردي والتفسيري والأمري والبرهاني والوصفي-dialogue-explicative) **.**argumentative-descriptive-injonctive-narative)
- **المستوى التداولي(Niveau pragmatique):**ويرتكز على المكونات الأساسية في بناء النص هي:

1- المكون الدلالي المرجعي(c.sementique-referentielle)

2- المكون التلفظي(c.enontiative)

3- المكون البرهاني(c.argumantative)[21]

تسعى اللسانيات من خلال هذين المستويين إلى تفكيك النص بمحاورة البنى التواصلية على المستوى الأول، ثم تنتقل إلى بنية النص لتبحث في مكوناته انطلاقاً من علاقاته التركيبية، ثم المرجعية بإبراز الظاهرة التناصية، ثم الدلالية، وبهذا فهي تُقطّع بنية النص من منظرو بنيوي يرتكز على النص، وتداولي يدخل في البحث عن العلاقات التواصلية التداخلية والمرجعية، وذلك "للكشف عن الأبنية السطحية والعميقة للنصوص من خلال البحث في علاقات الترابط والتناغم والكشف عن العلاقات الرابطة بين القارئ والنص والمنتج ضمن ثلاثية(نص/سياق/تداول)."[22]

تعتمد لسانيات النص على منهجية ثابتة في تحليل النصوص وهي منهجية بنيوية وصفية وتفسيرية وتأويلية[23]، تقوم على الخطوات الآتية:

- لابد على الباحث أن يشرح النص ويفككه إلى مقاطع وفقرات ومتواليات ضمن الوحدة الكلية للنص.
- تقطيع المركبات النصية أو الخطابية إلى ملفوظات ومقاطع وفقرات ومتواليات.
- تحديد تماسك الجمل انطلاقا من الجملة الثانية، حتى آخر جملة في النص أو الخطاب، بالبحث عن أدوات الاتساق اللغوية، والبحث عن عمليات الانسجام في علاقتها بالمتلقي.
- رصد الحوارية التناصية، وكل ملامح المعرفة الخلفية الواعية وغير الواعية.
- فهم بنية النص اللغوية في سياقها التواصلي من جهة، وربطها بالسياق الذهني من جهة أخرى.
- ربط النص بالمقصديات المباشرة وغير المباشرة، والبحث عن مختلف الوظائف التواصلية والإبلاغية التي يقوم بها النص.

- دراسة النصوص والخطابات وفق رؤية تجنسية، بغية معرفة مميزات كل نص أو خطاب على حدة، وتبيان مكوناته الثابتة واستخلاص سماته المتغيرة[24].

إن منهجية اللسانيات في معالجة النصوص هي منهجية لغوية بالدرجة الأولى، إلا أنها تتخذ من مختلف العلوم والمعارف المتعددة مرجعية أساسية لبناء آلياتها الإجرائية، مما يجعلها تعالج النص في إيطاره التواصلي والمرجعي، وفي هذا يقول جميل الحمداوي:"منهجية لسانيات النص، هي منهجية لسانية ونحوية محضة، لكن يمكن لها أن تستعير أدواتها ومفاهيمها الإجرائية، في إطار الانفتاح العلمي، من علوم أخرى مثل: علم النفس، وعلم الاجتماع، والبيولوجيا، والفيزياء والسيميوطيقا، والفلسفة..."[25]

تدرس لسانيات النص مجموعة من القضايا التي تدخل في بناء النص هي:

1- **الترابط:** هو علاقة خاصة بين الجمل، وتحكمه مجموعة من الشروط كالعلاقة بين معاني الكلمات في الجمل وتعالق الوقائع التي تشير إليها القضايا، وتكون القضايا متعالقة بقدر ما تكون مرتبطة بموضوع الخطاب[26].

2- **الانسجام هو** مجموعة من العمليات الضمنية الخفية التي تسعف المتلقي في قراءة النص وبناء انسجامه مثل: التغريض، والمشابهة، والتأويل، والأطر، والمدونات، والمعرفة الخلفية...[27]

3- **الاتساق :** هو مفهوم دلالي يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص، والتي تحدده كنص، ويتم عبر مستويات: الدلالة(المعاني)، والنحو-المعجم(الأشكال)، والصوت والكتابة(التعبير)، ومعنى هذا أن المعاني تنتقل إلى كلمات والكلمات إلى أصوات أو كتابة[28]، ويتحقق الاتساق عبر الأدوات الآتية:

الإحالة: تتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة وهي: الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة، تعتبر الإحالة علاقة دلالية ومن ثم فهي لا تخضع لقيود نحوية، إلا أنها تخضع لقيد دلالي، وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه.

الاستبدال : إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر، وهو علاقة تتم في المستوى النحوي-المعجمي بين كلمات أو عبارات، وهو مصدر أساسي من مصادر اتساق النصوص.

الحذف : هو علاقة داخل النص، ففي معظم النصوص يوجد العنصر المفترض في النص السابق، وهو لا يختلف عن الاستبدال إلا في كون الأول يترك أثراً، وهو وجود أحد عناصر الاستبدال، بينما علاقة الحذف لا تخلف أثراً.

الوصل:هو تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم، معنى هذا أن النص يتكون من جمل أو متتاليات متعاقبة خطيا، ولكي تُدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص.

الاتساق المعجمي: ينقسم إلى نوعين:

- التكرار هو إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصراً مطلقاً أو اسماً عاما.
- التضام وهو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظراً لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك[29].

فالنص المتسق على حد قول جميل الحمداوي هو ما ترابطت أجزاؤه، وتلاحمت بنياته، وانسجمت بأدوات لغوية وتركيبية وشكل هذا تكامل على مستوى بنيات النص، البنية السطحية والبنية العميقة، البنية اللغوية التي تقود إلى البنية الدلالية، فتفكيك اتساق النص هو تعرية لباطنه، والكشف عن مكامنه.

4- **التناص:**تتعدد مفاهيمه وتتداخل، إلا أن محمد مفتاح يحصرها في النقاط الآتية:

- فسيفساء من نصوص أخرى أدمجت فيه بتقنيات مختلفة
- ممتص لها يجعلها من عندياته، بتصييرها منسجمة مع فضاء بنائه ومع مقاصده.
- محول لها بتمطيطها أو تكثيفها بقصد مناقضة خصائصها ودلالتها، أو بهدف تعضيدها.

ومعنى هذا أن التناص هو"تعالق(الدخول في علاقة) نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة"[30]

ويعرفه عبد الملك مرتاض بأنه"تبادل التأثير والعلاقات بين نص أدبي راهن، ونصوص أدبية أخرى سابقة، وكان الفكر النقدي العربي عرف هذه الفكرة معرفة معمقة تحت مصطلح السرقات الشعرية"[31]، يطرح عبد الملك مرتاض من خلال هذا المفهوم فكرة السرقات الأدبية التي عُرفت في الفكر العربي القديم، الأمر الذي يؤكد معرفة العرب بهذا المفهوم منذ القدم حتى وإن اقتصروا على المفهوم دون المصطلح، لأن التناص كاصطلاح ظهر في النقد الحديث كترجمة للمصطلح الغربي (Intertextuality)، وفي هذا يقول عبد الملك مرتاض:"ولقد ترجم النقاد العرب الجُدد هذا المصطلح، ترجمة جميلة ودالّة على المعنى الأصلي في اللغة الفرنسية تحت مصطلح التناص"[32].

بناءأ على هذا يمكننا القول أن التناص يطلق على تلك المرجعيات الخارجية التي تساهم في تشكيل النص، بما في ذلك الخلفيات الثقافية والاجتماعية، والأطر العلمية والمعرفية، والأصول الفكرية التي ينبني عليها فكر الكاتب وثقافته، وبتحليلها وتفكيكها يتكشف جزء مهم من حياة المؤلف ومن عصره ومن ثقافته.

وبمفهوم مبسط يعني"أن يتضمن نص أدبي ما نصوصا أو أفكاراً أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس أو التضمين أو التلميح أو الإشارة أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب، بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي وتندغم فيه ليتشكل نص جديد واحد متكامل"[33]

يقوم التناص على جملة من الآليات التي تمكن القارئ أو الباحث من سبر أغوار النص وتفكيك مكنوناته، وقد حصرها محمد مفتاح في: التمطيط، والشرح، والاستعارة بأنواعها، التكرار والشكل الدرامي، وأيقونية الكتابة، إلا أن مفتاح خص هذه الآليات بالخطاب الشعري دون غيره وفي هذا يقول:"إن ما ذكر من آليات هو أساس هندسة النص الشعري مهما كانت طبيعة النواة، وكيفما كانت مقصدية الشاعر، فإذا قصد إلى الإقتداء فإنه يمطط مادحاً، وإذا توخى السخرية قلب مدحه إلى ذم بالكيفية نفسها"[34].

إلا أن جميل الحمداوي يفصل ويوسع في الآليات الإجرائية للتناص على النحو الآتي:

- المستنسخات النصية(ألفاظ وشواهد وعبارات واقتباسات بارزة...)
- المقتبسات النصية(تكون في بداية الرواية أو الفصل أو المتن في شكل نصوص ومقاطع وفقرات، موضوعة بين علامات التنصيص)
- الهوامش النصية(غالبا ما توضع هذه الهوامش في أسفل النص أو في آخر العمل، حيث تقوم بوظيفة الوصف والشرح والتفسير لما غمض من النص.
- الاقتباس هو أن يأخذ المبدع القرآن والسنة ويدرجهما في كلامه بطريقة صريحة أو غير صريحة.
- التضمين ويعني أن يُضمن المبدع كلامه شيئا من مشهور الشعر أو النثر لغيره من الأدباء والشعراء.
- المناص(Métatexte): ينطلق المبدع من عمل أو حدث أو فكرة أو مرجع أو مصدر لمبدع آخر، فيحاول محاكاته أو نقده ومحاورته.
- الاستشهاد: يورد المبدع مجموعة من الاستشهادات التي يضعها بين قوسين أو بين علامات التنصيص بغية الاستدلال وتدعيم قوله.
- البارودیا: هي عبارة عن محاكاة ساخرة يتقاطع فيها الواقع واللاواقع، الحقيقة واللاحقيقة، الجد والسخرية.

هذه بعض أشكال التناص التي يمكن أن نلمسها في أي أثر أدبي، ولا تنحصر في هذه النقاط فقط بل تتعداها إلى أوجه متنوعة تندرج تحت مسمى التناص، الذي يدخل كمكون أساسي في بناء النصوص وهيكلتها حتى تلقى الموقع الحسن من لدن القارئ أولا، ثم الباحث الذي يسعى لاستنطاق الآثار الأدبية باعتماد المنهجية اللسانية.

5- **التشاكل:**هو من أهم الإجراءات التي تتناول جميع مستويات النص، يكون على مستوى التركيب والدلالة،كما يمكن أن يتحقق على مستوى الشكل التعبيري، يعرفه محمد مفتاح بأنه : " تنمية لنواة معنوية سلبيا أو ايجابيا بإركام قصري أو اختياري لعناصر صوتية ومعجمية وتركيبية ومعنوية وتداولية ضمانا لانسجام الرسالة"[35]، وبهذا يكون التشاكل هو تكرار أو تواتر على مستوى سلسلة تركيبية بغية انسجام الخطاب، ويرى عبد الملك مرتاض بأنه"تشابك لعلاقات دلالية عبر وحدة ألسنية إما بالتكرار أو بالتماثل، أو بالتعارض سطحاً وعمقاً وسلباً وإيجابياً"[36]، ومن هنا تتعدد وجوه التشاكل الذي يقع على مستوى الدلالة، فهو إما بالتكرار أو بالتماثل، وكذلك التعارض السطحي والعميق لبنية النص، فالتشاكل إذن إجراءيقع من خلال تكرار الوحدات اللغوية والدلالية، وهو يمس كل عناصر البنية النصية ابتداء من أصغر عنصر وهو الصوت إلى البناء الكلي للنص، ويتمثل جوهره في تحقيق الاتساق والانسجام للنص، عبر اختراقه للوحدات اللغوية المكونة للوحدة التركيبية والدلالية في الخطاب الأدبي.

لا تنحصر قضايا لسانيات النص في هذه النقاط بل تتعداها إلى كل مايرتبط ببناء النص كالنسيج النصي وتجنيس النصوص وتصنيفها والتفاعل النصي ووحدة الموضوع،وإلى كل ما يمد الباحث بتقنيات تساعده على تحليل النص وتفسيره وتأويله وتفكيكه ومعرفة سبل تماسكه وتناسجه، والوقوف على السمة التي تجعل منه نصاً أدبيا، يتمتع بالجمالية، وتمييزه عن باقي الأجناس الأخرى، ومن هنا تصبح المقاربة اللسانية فعّالة في تفكيك النص، والوقوف على اتساقه وانسجامه.

إن الملاحظ من خلال ما تقدم أن لسانيات النص اعتمدت في تحليل النص على جميع مستوياته الصرفية والمعجمية والتركيبية والدلالية والتداولية، فهي تنطلق من أصغر وحدة في النص إلى الكلمة فالجملة فالنص في بنيته الكلية، باعتماد عمليات متعددة، حتى شكل النص موضوعا قائما تسعى مختلف النظريات لاستنطاقه عبر مراحله المختلفة وذلك بتبني التحليل اللساني الذي يسعى إلى الوقوف على كيفية بناء النص وإنتاجه؛وباعتبارها فرع من فروع اللسانيات العامة فهي تتعدى الجملة إلى النص، وتهتم بطرق تجانسه وتركيبه، فهي تبحث في العلاقات اللغوية والتركيبية، والخلفيات المعرفية والثقافية التي تساهم في تكوين النص، عبر تفكيك البنى النصية.

وخلاصة القول أن تحليل النص الأدبي باعتماد اللسانيات يمدنا بمنهجية ثابتة قادرة على الغوص في ثنايا النص بغية فك شفراته وفض علاقاته للولوج في أغواره والكشف عن إبداعات المبدع والوقوف على المواطن التي تزخر بالشعرية والجمالية، فهو ينطلق من البنية السطحية بفك العلاقات التركيبية اللغوية إلى البنية العميقة بالوقوف على الدلالة الكامنة، وليس أدل على ما حققته اللسانيات في هذا المجال من انطلاق

المناهج النسقية كالبنيوية والسيميائية والأسلوبية وغيرها، من اللسانيات لضبط مبادئها ووضع أسسها الإجرائية، فقد شكلت لسانيات فرديناند ديسوسير المنطلق أو المرتكز الذي يبنى عليه صرح الآليات النقدية الحديثة.

الهوامش:

[1]- ينظر: عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ط2، الدار العربية للكتاب، تونس، 1986 ص9.

[2]- جوليا كريستيفا: علم النص، ت: فريد الزاهي، ط2، دار توبقال، الدار البيضاء/المغرب، 1997، ص21.

[3]-ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

[4]- المرجع نفسه، ص108-109.

[5]- O.Ducrot,T.Todorov:Dictionnaireencyclopédique des sciences du langage, Seuil, Paris,1972, p375.

[6]- محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 1429ه/2008م ص22.

[7]- زتسيسلاف واورزنياك: مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص، ت: سعيد حسن بحيري، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة، 1424ه/2003م، ص60.

[8]- صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1992، ص220.

[9]- المرجع نفسه، ص221.

[10]- المرجع نفسه، ص ن.

[11]- المرجع نفسه، ص ن.

[12]- محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري(إستراتيجية التناص)، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/بيروت،1992 ص120.

[13]- المرجع نفسه، ص ن.

[14]- عبد الله الغذامي: الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، نظرية وتطبيق،ط6، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/المغرب 2006 ص82.

[15]- المرجع نفسه، ص82.

[16]- سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي(الزمن-السرد-التبئير)، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1997، ص32.

[17]- المرجع نفسه، 32-33.

[18]-ينظر: المرجع نفسه، ص33-34.

[19]-المرجع نفسه، ص35.

[20]- نعمان بوقرة: لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء، ط1 ، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان،2012 ،ص29.

[21]- ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

[22]- المرجع نفسه، ص35.

[23]- جميل حمداوي: محاضرات في لسانيات النص، ص60، من الموقع الالكتروني:www.alukah.net

[24]- المرجع نفسه، ص ن.

[25]- المرجع نفسه: ص 61.

[26]- ينظر: محمد خطابي: لسانيات النص(مدخل إلى انسجام الخطاب)، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1991، ص31-32.

[27]-جميل الحمداوي، ص76.

[28]-ينظر: محمد خطابي، ص15.

[29] -ينظر: المرجع نفسه، ص17-25.

[30]-محمد مفتاح، ص121.

[31]- عبد الملك مرتاض: نظرية النص الأدبي، ط3، دار هومة، الجزائر، 2015، ص260.

[32]-المرجع نفسه، ص190.

[33]- أحمد الزعبي:التناص نظريا وتطبيقيا(مقدمة نظرية مع دراسة تطبيقية للتناص في رواية رؤيا لهشام غرايبة وقصيدة راية القلب لإبراهيم نصر الله)، ط2، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمان/الأردن، 2000، ص11.

[34]- محمد مفتاح، ص127.

[35]-المرجع نفسه، ص25.

[36]- عبد الملك مرتاض: شعرية القصيدة قصيدة القراءة تحليل مركب لقصيدة أشجان يمنية، ط1، دار المنتخب العربي، لبنان، 1994 ص43.